من بلاغة القرآن الحكيم في حديثه عن الإتراف والمترفين

(دراسة تحليلية بلاغية)

عبدالجبار بن عبدالستار*

الحمد لله ربِّ العالمين والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن اتبعم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ,فإنَّ الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبارك وسلَّم كافَّة للناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا وأنزل عليه كتابًا عربيًّامبينًا تحدَّى به الإنس والجنَّ فعجزوا عن الإتيان بمثله, بل بأقصر سورة من مثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا, وإنَّ إعجازه ذلك كان عند جمهور الأمة بسبب بلاغته العالية التي لايقدر عليها إلَّا الله الأحد الصمد الذي كان بكُلِّ شيء خبيرًا بصيرا وعلى كُلِّ شيء قديرا .

وإن ذلك الكتاب الذي لاريب فيه كان تبياناً لكُلِّ شيء كبيرًا كان أو صغيرا .وإنَّ الذكر الحكيم قد يُكثِر ذكر بعض الأمور. ولا يتكرَّر ذكرُ شيءٍ في كلام الله العليم الحكيم إلَّا لغرضٍ مُهِمٍّ وداعٍ مُلِحٍّ لذكره, إمالأهمِّيَّته أو لخطرٍ يكون من أجله على عباده فيكون من مقتضى حكمته سبحانه وتعالى جلب منفعته لعباده أو دفع ضرره عنهم ,وإنَّ كُلَّ حديث من الذكر الحكيم – عن أيِّما شيءٍ كان – يحتوي على أسرارٍ بلاغيَّةٍ جمَّة ومما تكرَّر ذكرُه في القرآن الحكيم "الإترافُ والمترفون " فقد ورد ذكرُهم تسع مرَّاتٍ في ثمان آيات من القرآن الحكيم فاستدعَى ذلك الاهتمامُ البليغُ من القرآن الحكيم بذكرِهم وحَثَّ الباحثَ على أن يدرُس تلك الآيات التي تكرَّر فيها الحديث الإتراف والمترفين ويَبحَث عن الأسرارالبلاغيَّة للنظم الحكيم فيها.

وقبل الدخول في صُلب الموضوع – وهو البحث عن الأسرار البلاغية في حديث القرآن الحكيم عن الإتراف والمترفين – يَوَدُّ الباحث أن يَقِف قليلًا مع تعريف " البلاغة " لُغةً واصطلاحًا, وعن معنى "التِرف" و"الإتراف" و"المترَف" في اللغة العربية , وأن يُقَدِّم لحضرة القارئ قائمة الآيات التي ورد فيها ذكر الإتراف والمترَفين.

---

* المحاضر بكلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد .باكستان

فاشتمل البحث على النكات التالية:

١- تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً.
٢- معنى الترف والإتراف.
٣- قائمة الآيات التي تحدثَتْ عن الإتراف والمترفين.
٤- تحليل الآيات وتفسيرهاالبلاغي.
٥- أهم نتائج البحث.
٦- الحواشي والمراجع.

فاللهَ تعالى أسألُ أن يتقبل هذا الجهد المتواضع من عبده الضعيف قبولًا حَسَنًا وينفعَه به وجميعَ عباده المؤمنين في فهم آيات كتابه الكريم إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

البلاغة لغة واصطلاحا:

البلاغة مأخوذة من البلوغ وهو الوصول إلى الشيئ والانتهاء إليه.يقال:بلغتُ المكان بلوغا:وصلتُ إليه.والبلاغةُ فى الكلام إيصالُ المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ(١)

وقال السكاكي رحمه الله تعالى :

البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتَوفيةِ خواصِّ التراكيب حقَّها وإيرادِ أنواعِ التشبيه والمجازِ والكنايةِ على وجهها، ولها أعني البلاغة طرفان : أعلى وأسفلُ ,متباينان تبايُنًا لا يتراءَى له ناراهما, وبينهما مراتبُ ,تكادُ تفوت الحصر متفاوِتَةٌ، فمِنَ الأسفل تبتدئ البلاغة وهو القدرُ الذي إذا نقص منه شيء التَحَق ذلك الكلام بما شبَّهناه به في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايُد متصاعدةًعلى أن تبلغ حدَّ الإعجاز وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه.

وقَسَّم الخطيب القزويني رحمه الله تعالى البلاغة على نوعين:

١- بَلاغةُ الكلام:وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته(٢)
٢- بلاغةُ المتكلِّم:وهى ملكةٌ يقتدر بها على تاليف كلام بليغ(٣)

معنى الترف والإتراف :

الترف والإتراف والمترف النعمة والتنعم." مُتْرَفوها ": منعموها أي رؤساؤها.

وفي القاموس " الترفة "– بالضم – النعمة،والطعام الطيب، والشيء الظريف تخصّ به صاحبك. و"تَرِفَ" كفَرِحَ: تَنَعَّمَ، و" أَتْرَفَتْهُ النعمةُ ": أَطْغَتْه. و" نَعَّمْتُه " تَرَّفْتُه تَتْرِيْفًا. و"المترَّفُ" كمُكرَّم: المتروك، يصنع ما يشاء ولا يُمنَع والمتنعِّم لا يُمنَع مِن تنعُّمِه و" تَترَّفَ ":تَنَعَّم.(٤)

الآيات التي ورد فيها ذكرالإتراف والمترَفين:

لقد ورد ذكرالإتراف والمترَفين في القرآن الكريم في تسعة مواضع في الآيات التالية:

١– (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)(٥)

٢– وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا(٦)

٣– وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ)(٧)

٤– وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ.(٨)

٥– حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)(٩)

٦– وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)(١٠)

٧– وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ.(١١)

٨– وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ.(١٢)

فهذه الآيات تتحدث عن المفاسد التى سببُها الإترافُ وتنتج على غضب الله عزوجل وتخرُّب البلدان وهلاك أهلها. ونلاحظ أن القرآن الكريم لم يذكرهم إلا بالذم والتقبيح.فلننظر إلى المحققين من المفسرين ما قالوا فى تفسيرها وما هي الأسرارالبلاغية التي أفادونا بها:
أما الآية الأولى فقوله تعالى:

١- وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا.(١٣)

قد وجدالباحث في تفسير هذه الآية معركة شديدة عند المفسرين في المراد من قوله تعالى:(أمرنا مترفيها)لا يسع ذكرها في هذاالبحيث فيذكر هنامنه مايتضح به معنى الآية مع ذكرالأسرارالبلاغية فيها.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل، أمرناهم (فَفَسَقُوا) أى أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز، لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: " افسقوا "، وهذا لا يكون فبقى أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه، وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبرّ، كما خلقهم أصحاء أقوياء، وأقدرهم على الخير والشرّ، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق.(١٤)

وقال القاضي البيضاوي: (أَمَرْنا مُتْرَفِيها)متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم، ويدل على ذلك ما قبله وما بعده، فإن الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان، فيدل على الطاعة من طريق المقابلة).(١٥)

والبيضاوي لم يَرُدّ الاحتمال أو التأويل الذي أخذ به الزمخشري فقال:

وقيل أمرناهم بالفسق لقوله: (فَفَسَقُوا فِيها) كقولك:أمرته فقرأ، فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة على أن الأمر مجاز من الحمل عليه، أو التسبب له بأن صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق).(١٦)

وذكر البيضاوي احتمالات أخرى أيضا، قال:

ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوي كقولهم: أمرته فعصاني. وقيل: معناه كثرنا يقال: أمرت الشيء وآمرته فأمِر إذا كثرته، وفي الحديث: "خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة "(١٧)، أي كثيرة النتاج. وهو أيضاً مجاز من معنى الطلب، ويؤيده قراءة يعقوب (آمرنا) ورواية (أَمَّرْنا)عن أبي عمرو،

ويحتمل أن يكون منقولاً من أمُر بالضم أمارة أي:جعلناهم أمراء، وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفجور).(١٨)

على كل حال، فإن الآية الكريمة بجميع قراءاتها وجميع المعاني – التي حملها عليها المفسرون – تدل أبلغ دلالة على ضرر التكاثر في المال على الإنسان، وأيُّ ضرر يكون أكبر من تدمير المجتمعات التي أفسدها ترف المترفين الطغاة المستكبرين؟

وخطر ببال الباحث أن من بلاغة الأسلوب في دلالة هذه الآية الكريمة على ضرر التكاثر في المال على الإنسان تنكير "قرية" في قوله تعالى: (وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها...)

وأسلوب الشرط ب" إذا "، فإن تنكير " قرية " يدل على عمومية أفراد القرية. أي: أن هذه سُنَّتُنا لكل فرد من أفراد القرى، لا تختص بقرية دون غيرها كما قال القزويني في تلخيص المفتاح:

ومن تنكير غيره أي غير المسندإليه للإفراد (والله خلق كل دابة من ماء) اي كل فرد من أفراد الدواب(١٩)، وقال – في أسلوب الشرط –:

ف"إنْ " و" إذا " للشرط في الاستقبال لكن أصل "إن" عدم الجزم بوقوع الشرط، وأصل "إذا" الجزم بوقوعه).(٢٠)

فمفهوم الآية الكريمة إذن: أن هذه سنتنا الجارية في إهلاك القرى بالجزم واليقين أننا إذا أردنا إهلاك قرية فإننا نهلكها بسبب فسوق المترفين،

ومن الآيات الواردة في ذم المترفين قوله تعالى:

٢– (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * (٢١)

قد ورد في هذه الآيات ذكر المترفين في سياقٍ كلُّه سياق العذاب، فقد مَرَّ فيما قبل هذه الآيات قصة قوم نوح عليه السلام – قصةُ هلاكِهِم بالعذاب –، وبعد ذكر هلاكهم قال تعالى: (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)(٢٢)

مَن هؤلاء القرن الآخرون من بعد قوم نوح عليه السلام؟

ومَن هُو رسولُهم الذي أرسل إليهم؟

القرآن الكريم لم يحدِّدهم بل نكَّرهم، فلا حاجة لنا أن نحدِّدهم، وأخبرَنا القرآن الحكيم بإرسال رسول فيهم وبما دعا الرسول عليه السلام إليه قومه من عبادة الله وتوحيده وحثَّهم على التقوى

وأخبرَنا القرآن الحكيم كذلك بِرَدّ قومه عليه،وخَصَّ به الملأ من قومه ووصفهم بثلاث صفات: بالكفر وتكذيب الآخرة والإتراف.

فما هو السر البلاغيُّ في تخصيص الملأ من قومه بتكذيب الرسول عليه السلام ووصفِهم بالأوصاف الثلاثة؟

أما تخصيص "الملأ" من قومه بتكذيب الرسول عليه السلام، فهو كدأب جميع المكذِّبين للأنبياء المرسلين إليهم فإنَّنا لانكاد نجد في القرآن الحكيم ذِكرَ نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام دعا قومَه إلى الله ولم يُكذِّبه الملأ من قومه، والمراد ب"الملأ " هنا: السادة. وأمَّا وصفُهم بالإسم الموصول الذي صلته "كفروا" و"كذبوا" و"أترافناهم في الحياة الدنيا"، فهذا يمكن أن نفهمه على ضوء ما ذكر البلاغيون من أغراض تعريف المسند إليه بالموصولية كما قال الخطيب القزويني رحمه الله تعالى:

وأما تعريفه بالموصولية فللإيماء إلى وجه بناء الخبر نحو: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين).(٢٣)

فيمكن أن نقول: إن السر البلاغي في ذلك: الإيماءُ مسبَّقا – قبل ذكر ما قالوا عن الرسول عليه السلام – إلى كونهم مجرمين ومستحقِّين للعذاب الذي يأتي ذكره في آخر القصة نتيجةَ كفرِهم وتكذيبِهم. ولعل هذا مما سماه الإمام البلاغييون "التسهيم" أن يدل أوَّلُ الآيةِ على آخره.(٢٤)

فهنا دلت الآية الأولى من القصة على آخرها فإن القارئ كماأن يبدأالآية الأولى من القصة، يدرك ما يكون نهايةَ القصة، فعندما ينتهي إلى آخر القصة ويقرأ مآلهم تطمئن نفسه إليه، ومن أغراض التعريف بالموصولية التسجيل عليهم بمضمون الصلة فهم معروفون بالكفر والترف.

وأما قوله تعالى: (وأترفناهم في الحياة) ففيه إيماء لطيف إلى سبب كفرهم وطغيانهم ودلالةٌ بليغة على ضرر الترف على الإنسان – إذا طغا المال على عقله –.

قال الطبري رحمه الله تعالى: (وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، يقول:

ونعَّمناهم في حياتهم الدنيا بما وسَّعنا عليهم من المعاش، وبسطنا لهم من الرزق، حتى بَطِرُوا وعَتَوْا على ربهم، وكفروا.(٢٥)

وبالتأمل في نظم الحديث عن المترفين في الآيات نجد أن هناك تلازما بين الكفر والترف، وبين الترف والسادة، كما نجد أن فعل الإتراف مسند إلى " نا" العظمة للإشارة إلى أن هذه النعم من الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه هيَّأ لهم كُلَّ أسباب الترف، ونلاحظ أيضا أن هؤلاء وقع عليهم الإتراف ليتفق النظم مع نظائره من وقوع الفعل على هؤلاء.

ويُمكن أن يُلاحظ قاري كتاب الله عزَّوجلَّ مَدى بَطَرِهِم وطُغيانهم وشِدَّةَ كفرهم وإنكارِهِم، أنَّ كلامهم الذي نقله القرآن الحكيم – الذي قالوه ردًّا على نبيهم الكريم عليه الصلاة والتسليم –

مَليئٌ بأساليب التوكيد والتشديد فإنَّ أول قولهم: (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) استُخدِمَ فيه أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، ثم لم يكتفوا بأسلوب القصر في جعل نبيهم كأيّ واحد منهم، بل أكّدوا ذلك بقولهم: (يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) ثم قالوا لقومهم: (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ). في هذه الآية استُخدِمت اللام القسمية مرتين أوَّلًا: في قوله (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ) ثم في قوله (إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُون).

قال محمود بن عبدالرحيم الصافي في كتابه (الجدول في إعراب القرآن) في اللام الأولى (لئن أطعتم بشرا): اللام موطئة للقسم، واللام في (لخاسرون) لام القسم.(٢٦)

وقبل لام القسم قد أكدت الجملة بحرف التوكيد "إنّ" أيضا، وليس هذا فقط، بل في قوله: (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) بدل أن يقولوا: (ولئن أطعتموه)، قالوا: (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي: اختير الإسم الظاهر في موضع المضمر، ثم وُصِفَ بصفة كونه مثلكم، توكيدا وتشديدا للإنكاروتكذيب الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم.

وذكر الخطيب القزويني رحمه الله تعالى من أسباب اختيار الإسم الظاهر على المضمر: "الإيضاح" و"التقرير" و "الإهانة".(٢٧)

فيمكن أن يقال : إنهم قد اختاروا الإسم الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: (ولئن أطعتم بشرا مثلكم...) للغرض الثالث، لأن هذا هوالأنسب والأوفق بشدة إنكارهم وغلوهم في تكذيب الرسول عليه السلام واعتقادهم الجازم بالمنافاة بين البشرية والنبوة فلذلك إنهم تنصيصًا على إعتقادهم الباطل بالمنافاة بين البشرية والنبوة اختاروا الإسم الظاهر على المضمر وبدل أن يقولوا لأتباعِهِم الجهلةِ وعامَّةِ الناس:"ولئن أطعتموه إنكم لخاسرون".قالوا: (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ)(٢٨)

ثم ذكر القرآن الحكيم التجاء الرسول عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى واستجابة الله سبحانه وتعالى له، وهلاكَهم ودِمارَهم وبُعدَهم عن رحمة الله بأبلغ أسلوب.

فهذا – استحقاقهم لغضب الله وسَخطه وهلاكهم بعذابه –كان مُسبَّبًا مِن كفرِهم وتكذيبِهم الرسولَ عليه السلام والبعثَ بعد الموت ,وكفرُهم كان بسبب بَطَرِهم بما آتاهم الله من أموال

ونعم عزيزة،فلهذا السياق البليغ لَأبلغُ دلالةٍ على ضرر الترف على الإنسان إذا دخل حُبُّ المال في قلبه وسطَا على عقله فرأَى الحقَّ باطلًا والباطل حقًّا.(٢٩)

ومن الآيات الواردة في ذم المترفين قوله تعالى:

٣-(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)(٣٠)

قال أبوالعباس الأنجري رحمة الله عليه: " لولا "، تحضيضيَّةٌ، ويقترن بها هنا معنى التفجُّع والتأسُّف، كقوله: (يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ)(٣١)، و (إلا قليلاً): منقطع، ولا يصح اتصاله، إلا إذا جُعِل استثناءً من النفي اللازم للتحضيض. أي: ما كان في القرون الماضية أولو بقية إلا قليل.

يقال: فلان من بقية القوم، أي: خيارِهم، وإنما قيل فيه (بقية) لأن الشرائع والدول تَقوَى أولاً ثم تَضعُف. فمن ثبت في وقت الضعف على ما كان في أوله، فهو بقيَّةُ الصدر الأول)(٣٢)

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة، وهو فُشُوّ الظلم فيهم واتِّباعُهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر.(٣٣)

فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ). فيه تلميح لطيف إلى سبب إعراضهم عن الحق وكفرِهم وظلمِهم وما تَسبّب لهلاكهم ودمارهم وهو انهماكُهم في الشهوات واللَّذّات النفسانية بسبب ترفهم، وفيه لأبلغ دلالة على ضررالترف على الإنسان إذا أحبَّ المال حبًّا جمًّا.

وما أجمل ما قال الإمام إبن عاشور رحمة الله عليه(٣٤) مبينا أسرارا بلاغية سِياقيَّة وأسلوبية قال: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ):

هذا قوي الاتصال بقوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك)(٣٥) فيجوز أن يكون تفريعا عليه ويكون ما بينهما اعتراضا دعا إليه الانتقال الاستطرادي في معان متماسكة....

ويجوز أن يكون تفريعا على قوله تعالى: (فاستقم كما أمرت)(٣٦) وما عطف عليها كأنه قيل: (وَإِنَّ كُلًّا لما لَيُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أَعمالهم)، فلولا كان منهم بقية ينهون عن الفساد في الأرض...الخ، أي فاحذروا أن تكونوا كما كانوا فيصيبكم ما أصابهم، وكونوا مستقيمين ولا تطغوا ولا تركنوا إلى

الظالمين وأقيموا الصلاة، فغُيِّر نظم الكلام إلى هذا الأسلوب الذي في الآية لِتَفَنُّنِ فوائده ودقائقه واستقلال أغراضه مع كونها آئلة إلى غرض يعمُّمها. وهذا من أبدع أساليب الإعجاز الذي هو كَرَدِّ العجُزِ على الصدر من غير تكلُّف ولا ظهور قصد).(٣٧)

وقال ابن عاشور أيضا:

و " لولا " حرف تحضيض بمعنى " هلَّا ". وتحضيضُ الفائت لا يقصد منه إلا تحذير غيره من أن يقع فيما وقعوا فيه والعبرة بما أصابهم....والبقية: الفضل والخير.... وبقية الناس: سادتهم وأهل الفضل منهم.

قال رويشد بن كثير الطائي:

إن تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم... فما علَيّ بذنب منكم فوت....

و " مِن" في قوله: (ممن أنجينا) بيانية، بيانٌ للقليل... ودلَّ قولُه: (ممن أنجينا منهم)على أنَّ في الكلام إيجازَ حذف تقديره: فكانوا يتوبون ويُقلِعون عن الفساد في الأرض فينجون من مسِّ النار الذي لا دافع له عنهم).(٣٨)

وما سِرُّ إتيان الفعل مبنيًّا للمجهول في قوله تعالى: (...أُترِفُوا....) ؟

قال ابن عاشوررحمه الله تعالى: (وَأُترِفُوا): أُعطُوا الترف، وهو السعة والنعيم الذي سهله الله لهم فالله هو الذي أترفهم فلم يشكروه).(٣٩)

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) أراد ب"الَّذِينَ ظَلَمُوا": تاركي النهى عن المنكرات، أى: لم يهتمُّوا بما هو ركنٌ عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعقَدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعّمَ والترّف، من حُبِّ الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم.(٤٠)

فعلى تفسير الزمخشري رحمة الله عليه لهذه الآية دلالتها على ضرر الترف والمال الغزير والرفاهية البالغة على الإنسان لأجلَى وأبلغ.

وأساس هذه الدلالة هو مجيء قوله تعالى:(وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) في سياق قوله تعالى:

(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ....الآية) (٤١).

ومما يلاحَظ هنا أيضا أنه قد جاء النظم الحكيم بجعل الظلم صلة الموصول للإشارة إلى أن المترَف ظالم،حيث لم يشكرالله على نعمه،وإيقاع فعل " اتَّبَعَ "على الموصول " ما " وصلته " أُترِفُوا " للإشارة إلى أن هدفهم وغايتَهم هي وسائل الترف،وجاء الفعل "أُترِفوا" مبنيًّا للمجهول ليتَّفق مع نظائره للأسباب التي ذُكِرَت من قبل.

ومن الآيات الواردة في ذم المترفين قوله تعالى:

٤-(وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ)(٤٢)

في هذه الآيات نكاتٌ بلاغيَّة يمكن فهمُها من ضمن ما فسرها به العلماء كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ) واردةٌ عن غضب شديد ومُنادية على سخطٍ عظيمٍ، لأنّ القصم أفظعُ الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم).(٤٣)

فقد بيَّن الزمخشري رحمه الله لنا السِّرَّ البلاغيَّ للنظم القرآني هنا في اختيار فعل "قصم" على أيِّ فعلٍ آخرَ -لا يؤدِّي مؤدَّي هذا الفعلِ – في قوله: وارِدةٌ عن غضب شديد ومُنادية على سخطٍ عظيمٍ.

وقال الزمخشري أيضا:

وأراد بالقرية: أهلها ولذلك وصفها بالظلم.(٤٤)

فقد أشار الزمخشري إلى أن هنا في الآية الكريمة إيجازَ حذف، كما يدل عليه تفسير جلال الدين المحلي رحمة الله عليه،(٤٥) قال:

(وكم قصمنا) أهلكنا (من قرية) أي: أهلها.(٤٦)

يعنى هنا حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه (قرية) مكانه.

وفي ذلك إشارة إلى انتشارالظلم في أهل القرية جميعًابحيث أن الظلم لِذُيوعِه قد تجاوز أهل القرية إلى القرية نفسها،وأن الإهلاك قدشمل كل أهل القرية وأتى على من فيها من أشخاص ومافيهامن مخلوقات أخرى.

وقوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ).(٤٧)

قال الزمخشري رحمه الله: والركض: ضرب الدابة بالرِجل. ومنه قوله تعالى: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) فيجوز أن يركبوا دوابَّهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركَتهم مقدِّمةُ العذاب. ويجوز أن يُشبَّهوا في سرعة عَدْوِهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم، فقيل لهم.(لا تَرْكُضُوا) والقول محذوف).(٤٨)

فقد بيَّن الزمخشري هنا السرَّ البلاغي لاختيار الفعل "رَكَضَ" على غيره مِن "هَرَبَ" أو " فَرَّ" أو غير ذلك.

وقوله تعالى: (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ).(٤٩)

مَن قال لهم: لا تركضو...الخ؟، وما هو السر البلاغي في هذا القول الذي قيل لهم آنذاك؟

ذَكَرَ الزمخشري في قائل هذا القول احتمالاتٍ عديدةً.

أما السر البلاغي في هذا القول ؛ فقد قال الزمخشري : تهكُّم بهم وتوبيخٌ، أى: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدًا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم. وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدُكم وحشمُكم ومَن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدَّمين؟(٥٠)

وزادالزمخشري قائلا:

أو يسألكم الوافدون عليكم والطُمَّاع الذين يستمطرون سحائب أكُفِّكم: إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكُّمًا إلى تهكُّمٍ، وتوبيخًا إلى توبيخ.(٥١)

وقوله تعالى: (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ).

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه " مجاز القرآن"مبيِّنًا معنى " خامدين ":

(مجازُ "الخامدِ " مجازُ "الهامد " كما يقال للنار إذا طفئت: خمدت النار.

والحصيد: مجازه مجاز المستأصَل,وهو يوصف بلفظ الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى سواءً, كأنه أُجرِىَ مجرى المصدر الذي يوصف به الذكر والأنثى والاثنان والجميع منه على لفظه).(٥٢)

وشرح الآلوسي رحمه الله تعالى المجاز الموجود في هذه الآية الكريمة في كلمتي "حصيدا" و "خامدين"؛ قائلا: (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ) أي: إلى أن جعلناهم بمنزلة النبات المحصود

والنارِ الخامدة في الهلاك قاله العلامة التفتازاني في شرح المفتاح، ثم قال العلامة: في ذلك استعارتان بالكناية بلفظ واحد وهو ضمير جَعَلْناهُمْ حيث شُبِّهَ بالنبات وبالنار وأُفرِدَ بالذكر وأريد به المشبَّه بهما أعني النبات والنار ادِّعاءً بقرينة أنه نُسِب إليه الحصاد الذي هو من خواص النبات والخمودُ الذي هومن خواصِّ النار).(٥٣)

ويمكننا أن نقول :في قوله تعالى: (حَصِيدًا خَامِدِينَ) استعارتان مكنيَّتان تخييليَّتان، لأنهم قد شُبِّهوا بالنبات الذي من خواصه الحصاد،والنارِ التي من خواصها الخمود ثم تُرِك ذكرُ المشبه بهما وأثبِتَ ما هو من خواصهما للمشبَّهِينَ (الكفارِ المهلَكين). كما قال الخطيب القزويني رحمه الله تعالى:

قد يُضمَر التشبيه في النفس، فلا يُصرَّح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويُدَلُّ عليه بأن يُثبَت للمشبَّه أمرٌ مختصٌّ بالمشبَّه به، من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابت حِسًّا أو عقلًا، أجري عليه اسم ذلك الأمر، فيسمَّى التشبيه "استعارة بالكناية"، أو مكنيًّا منها، وإثبات ذلك الأمر للمشبَّه استعارة تخييليَّة. والعَلَم في ذلك قول لبيد:

وغداةَ ريح قد كشفت وقِرَّة... إذ أصبحت بيد الشَّمال زمامها).(٥٤)

فهذه الآيات تدُلُّ أبلغَ دلالةٍ على ذَمِّ المترفين، وعلى كون حبِّ المال، يصيب الإنسانَ (الفردَ والمجتمعَ) بسببه أكبرُ ضررٍ رُوحيٍّ وماديٍّ - من فساد أخلاقِه وعُجبه وكِبره وبَطره بالمال وكفر ربِّه المنعمِ الدَيَّان الذي يرزقه المال والعيش الرافه ليشكره فيؤدِّيَ بالمال حقوقَ الله وحقوقَ العباد وينفقَه في سبيل الله ويبتغيَ به مرضات الله ولكنه يبطُر بالمال فيُصبح طاغوتاً فيكفرُ بربِّه ويَظلِم عبادالله ويُضِلُّهم عن سبيله بماله فيستحق غضبَ الله وعذابَه فيُدَمِّره الله تدميرا، كما قال تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ).(٥٥)

ومن الآيات الواردة في ذم المترفين قوله تعالى:

٦- (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)(٥٦)

أولًا: بيانُ معاني بعضِ الكلمات:-

قال تعالى: (إذا هم يجأرون).

ما معنى (يجأرون)؟

قال الفخرالرازيُّ رحمه الله تعالى:

"يجأرون" أي: يرتفع صوتهم بالاستغاثة والضجيج لشدة ما هم عليه).(٥٧)

وقال أبوعبيدة معمر بن المثنى رحمة الله تعالى عليه:

"إذا هم يجأرون" أي: يرفعون أصواتهم كما يجأر الثور).(٥٨)

وقال تعالى: (....فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ).

قال عبدالقادر بن مُلَّا حويش: (فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ) ترجعون القهقرى لا تلتفتون إليهم ولا إلى ما جاءوكم به، والنكوص: المشيُ إلى الوراء وهي أقبح مِشيةٍ، إذ لا يرى ما وراءه، الذي هو أمامه، والمعنى أنَّكم كنتم تتأخَّرون عن قبول الإيمان حال كونكم مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ.(٥٩)

وقال تعالى: (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)

قال البيضاوي رحمه الله: (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) الضمير للبيت. وشُهرةُ استكبارِهم وافتخارِهم بأنهم قوامُه أغنت عن سبق ذكره، أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي والباء متعلقة ب(مُسْتَكْبِرِينَ) لأنه بمعنى مكذبِّين، أو لأن استكبارهم على المسلمين حدَثَ بسبب استماعه أو بقوله:(سامِراً)أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه..... (تَهْجُرُونَ) من الهجر بالفتح إما بمعنى القطيعة أو الهذيان، أي: تعرضون عن القرآن أو تَهذُون في شأنه أو الهُجر بالضم أي الفحش، ويؤيد الثاني قراءة نافع تُهْجِرُونَ من(أهجر).(٦٠)

السر البلاغي في تخصيص المترَفين بذكر أخذهم هنا:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: وإنما جُعِل الأخذُ واقعًا على المترَفين منهم لأنهم الذين أَضلُّوا عامَّة قومهم ولولا نفوذ كلمتهم على قومهم لا تَّبعت الدهماءُ الحقَّ لأن العامة أقرب إلى الإنصاف إذا فهموا الحقَّ بسبب سلامتهم من جُلِّ دواعي المكابَرة من توقُّع تقلُّص سُؤدَد وزوال نعيمهم.(٦١)

ثم زاد قائلا: وتخصيص المترَفين بالتعذيب مع أن شأن العذاب الإلهي إن كان دنيويا أن يعُمَّ الناس كلَّهم إيماءٌ إلى أنَّ المترفين هم سبب نزول العذاب بالعامة.(٦٢)

ويُستفاد من الآيات المذكورة أنَّ المترفين هم السادة والرؤساء وأصحاب الكلمة المسموعة فيمن حولهم. وأن عامة الناس يسيرون في فلكِهم ويتمنَّون ماهم فيه من ترف. وقد جاء النظم بصيغة اسم المفعول "مُترَفيهم" وهو بمنزلة الفعل المبني للمجهول، لما سبق ذكره، ففعل الترف لم يأت في القرآن إلا على هذه الطريقة في النظم فهُم قد توفَّرت لهم كلُّ أسباب الترف،بحيث يقع عليهم الترف.

وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى "يجأرون":

هو كناية عن شدة ألم العذاب بحيث لا يستطيعون صبرا عليه فيصدر منهم صراخ التأفة والويل والثبور).(٦٣)

وفي قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ)

قال الزمخشري: "حتى " هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام. ولكنه لم يذكر لها سرا بلاغيا في هذا المقام وقدأشار إليه ابن عاشور؛ قال:

و"حتى" الابتدائية. يكون ما بعدها ابتداءَ كلامٍ، فليس الدالُّ على الغاية لفظا مفردا كما هو الشأن مع "حتى" الجارَّة و "حتى" العاطفة، بل هي غاية يدل عليها المقام والأكثر أن تكون في معنى التفريع.

وبهذه الغاية صار الكلام تهديدا لهم بعذاب سيحُلُّ بهم، يجأرون منه ولا ملجأ لهم منه)(٦٤)

ونكتة بلاغية أخرى :، في قوله تعالى: (قد كانت آياتي تتلى عليكم...)(٦٥)

فعل "تتلى" لماذا ورد بصيغة المبني للمجهول؟

كان من الممكن أن يأتي النظم مثلا هكذا: (قد كان الرسول يتلوا عليكم آياتي فكنتم على أعقابكم تنكصون) – بذكر الفاعل وإيراد الفعل مبنيًّا للفاعل–، ولكن النظم القرآني لماذا جاء بالفعل المبني للمجهول؟

يمكن أن يقال : إنَّ الغرض البلاغيَّ في حذف الفاعل – الذي كان يتلوا آيات الله تعالى على الكفار وكانوا على أعقابهم ينكصون–، إفادةُ عموم التلاوة من الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعِه من أمته إلى يوم القيامة.

أمَّا ما ذكَر المفسرون رحمهم الله من كونه النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأنَّ المراد من الناكصين مشركو مكَّة، فإنه – على الأكثر– يمكن أن يقال:

إنه من أسباب النزول لهذه الآيات، ولكن آيات الذكر الحكيم ليست منحصرة في أسباب نزولها، كما قال غير واحد من المفسرين:

العبرة لعموم الألفاظ لا لخصوص السبب.(٦٦)

فهذه الآيات أيضا قددلَّت أبلغ دلالة على ضرر الترف الذي أبطَرَ المترَفين المستكبِرين فجعلهم مأخوذين بعذاب أليم.

ومن الآيات الواردة بذم المترفين قوله تعالى:

٦-وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)(٦٧)

إنَّ هاتين الآيتين في غاية البلاغة – من حيث السياق ومن حيث الأسلوب- في ذمِّ المترفين والدلالة على ضررالترف للإنسان.

أما بلاغة السياق؛ فإن القرآن الحكيم في ثلاث آيات طوال قبلهما قد أسمعنا حوارًا بليغا مُمتِعًا بين الفريقين من الظالمين -المستكبِرين والمستضعَفين- يجري بينهما في ميدان الحشر يوم القيامة، قال تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٦٨)

أولًا: مُهِّد لهذا الحوار بإعلام من الكفار بتكذيب القرآن وما بين يديه، ثم جيئ بـ" لو" الشرطية وحذف جواب الشرط للتهويل(٦٩) ثم صُوِّر وقوفُهم عند ربهم، واستُخدِمَت الجملة الإسمية، في قوله تعالى: (إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) بدل أن يقال:إذ يَقِفُ أو:يُوقَفُ المجرمون).

قال ابن عاشور – مبيِّنًابلاغة هذا الأسلوب المختار هنا- :

لإفادة طُول وقوفهم بين يدي الله طُولًا يَستوجِب الضجر ويملأ القلوب رعبا. وعُبِّر باسم المفعول "موقوفون" دون اسم الفاعل "واقفون" للدلالة على أنهم أُوقِفوا على وجه القهر والاضطرار، فأوقفهم واقف ولم يقفوا من تلقاء أنفسهم.وجيئ بالمضارع في قوله تعالى: (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ)(٧٠) لاستحضار الحالة كقوله تعالى: (يجادلنا في قوم لوط) (٧١) وكذلك جيئ المضارع أيضا في قوله تعالى: (يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا...)(٧٢) لاستحضار حالة القول، لأنها حالة غريبة لما فيها من جرأة المستضعفين على المستكبرين، ومِن تَنبُّهِ هؤلاء من غفلتهم عما كان المستكبرون يَغُرُّونهم به حتى أَوقَعوهم في هذا المأزق.(٧٣)

السرُّ البلاغيُّ في اختيار صيغة (الذين استُضعِفوا) للأتباع وصيغة (الذين استَكبَروا) للمتبوعين:-

ويمكن أن يُلاحَظ هنا أنَّ نظم القرآن الحكيم اختار للأتباع الضالِّين عنوان (الذين استُضعِفوا) وللمتبوعين المضلِّين عنوان (الذين استَكبَروا) فما هو السرُّ البلاغي في ذلك؟

أي هنا شيئان: أحدُهما استخدام باب الاستفعال، والثاني: للأتباع " استُضعِفوا"- الفعلُ المبنيُّ للمجهول-، و للمتبوعين المضلين " استكبروا" - الفعلُ المبنيُّ للمعلوم وإسناده إلى أنفسهم فما هو السر البلاغي في ذلك؟

يمكن أن يقال في السرِّ البلاغي في استخدام باب الاستفعال في "استُضعِفوا" و "استَكبَروا" وبناء الأول للمجهول والثاني للمعلوم هو أنَّ المقصود الدلالة على كون الرؤساء المترَفين الظالمين أصلًا في كفر أتباعهم. ووَضْع المسؤولية الكبرى عليهم باختيار هذا الأسلوب، وهو الذي يدل عليه هذا الحوار الذي سيجري بين الفريقين يوم القيامة بمعناه المجموعي ويؤيِّده آياتٌ أخرى كثيرة كقوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (٧٤) وكذلك ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم: (...أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن تولَّيتَ فإنَّ عليك إثم الأريسيين).(٧٥)

وتفصيلُ ذلك أن باب الاستفعال -كما هو المعروف لدى العلماء- يدل على معنى الطلب كما في استخرج الشيئ من الشيئ: طلب خروجه منه، و"استأذن": طلب الإذن و"استفهم" طلب الفهم.... الخ.

فعلى هذا معنى "استُضعِفوا": أنَّ كبراءَهم لما غلبوا على أمرهم وعلَوا عليهم استَضعَفوهم أي جعلوهم ضعفاء فهم مستضعَفون كما قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)(٧٦)

ولذلك استُعمِلت للأتباع من الكفار صيغة المبني للمجهول (استُضعِفوا) أي: جعلهم كبراؤهم ضعفاء، لا أن الله سبحانه وتعالى خلقَهم ضعفاء، بل جعلهم حُكَّامُهم الجبابرة الظلَمةُ جبرا وقهراضعفاء، ثم استتبَعوهم لأنفسهم في الكفر والضلال، أمَّا هُم أنفسُهم فقد استكبَروا: أي طلبوا الكبرياء لأنفسهم باختيارهم ولذلك استَخدَم النظمُ الحكيمُ لهم صيغة الفعل المبني للمعلوم.

فما أبلغ هذا الأسلوب الذي اختاره النظم الكريم لهذا المقام وما أنسبه لمقتضى المقام، وهذا هو شأن كلام الله العزيز الحكيم. والله اعلم.

وفي قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ...الخ) وُضِعَ الاسم الظاهر (الظالمون) مكان المضمَر تسجيلا عليهم جريمَتَهم التي سيُعذَّبون من أجلها.

وفي هذا الحوار الكلامُ الأوَّلُ والآخِرُ للمستضعفَين فإنهم أولًا قد وَجَّهوا الزجرَ والتوبيخ إلى المستكبرين، قالوا: (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)(٧٧) فرَدَّ عليهم المستكبرون باستفهام إنكاريٍّ: (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ)* (٧٨) فكرَّر المستضعَفُون: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا). (٧٩)

بلاغة الفصل والوصل في هذا الحوار:

قال أبوالعباس الأنجري:

(أتى بالعاطف في قوله: "وقال" الأخيرةِ، وترَك في الأولى لأنَّ قول الرؤساء جوابٌ لقول المستضعفين، فحَسُن ترك العاطف، ثم جيء بكلامٍ آخَر للمستضعفين، فعطفه على كلامهم الأول)(٨٠)

أي أن تُرِكت الواو في "قال" الأولى للإستئناف ,حيث وقعت الجملة جوابا عن سؤال تولَّد من الكلام السابق، وهو ما يُعرَف بشِبه كمال الاتصال- وجيئ بالواو في الثانية للتوسط بين الكمالين.

قال ابن عجيبة (أبوالعباس الأنجري): (وإضافة المكر إلى الليل على الاتساع، بإجراء الثاني مجرى المفعول به، وإضافة المكر إليه، أو: جعل الليل والنهار ماكرين بهم مجازاً). (٨١)

وبيَّن ابن جزِّيّ الكلبيُّ السر البلاغي لإضافة المكر إلى الليل والنهار قائلا: ...ويحتمل أن يكون إضافةً إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز كقولهم: نهاره صيام وليله قيام، أي: يصام فيه ويقام). (٨٢)

ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار. (٨٣)

فإضافة المكر إلى الليل والنهار من المجاز العقلي عن طريق التشبيه الإضافي، أي إضافة الشيئ إلى غير ما حقُّه أن يضاف إليه. وهذه الصورة من المجاز العقلي على تعريف عبدالقاهرالجرجاني رحمه لله تعالى للمجاز , أما على تعريف الخطيب فلا تدخل فيه هذه الصورة.

وقال الفخر الرازي رحمه الله تعالى مبيِّنًا السرالبلاغي في بداية الحوار بقول الأتباع المستضعفين: بدأ بالأتباع لأن المضِلَّ أَولَى بالتوبيخ.(٨٤)

وبعد ما ينتهي هذا الحوار بين فريقَي الظالمين (الأتباع والمتبوعين= المستضعفين والمستكبرين الضالين والمضلين، أعلَنَ القرآن الحكيم بعاقبتهم جميعًا بقول تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٨٥)

قال الزمخشري:

فإن قلتَ: من صاحب الضمير في وَأَسَرُّوا قلتُ: الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعَفين، وهم الظالمون في قوله (إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ)(٨٦) يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم، والمستضعفون على ضلالهم واتِّباعِهِم المضلين).(٨٧)

وقال الزمخشري مبيِّنًا السر البلاغي لاستخدام الاسم الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا)،: أى في أعناقهم، فجاء بالصريح للتنويه بذمِّهم، وللدلالة على ما استحقُّوا به الأغلال).(٨٨)

ولما كان هؤلاء المضِلُّون المستكبرون من الرؤساء المترَفين أردف القرآن الحكيم هذا الحوار بدأبهم المستمرِّ عَبرَ التاريخ البشريِّ بأبلغ أسلوب مستخدِمًا أسلوب القصر –بالنفي والاستثناء– بقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)(٨٩)

ولم يكتف النظم الحكيم على أسلوب القصر، بل ونَكَّر "قرية" و "نذير" للمبالغة في العموم والشمول– كما قال ابن هشام الأنصاري رحمه الله تعالى:

"مِن" تأتي على خمسة عشر وجها... الخامس عشر توكيدُ العموم وهي الزائدة في نحو ما جاءني مِن أحد... وشرطُ زيادتها في النوعين ثلاثة أمور

أحدها تقدُّم نفي أو نهي أو استفهام بهل... والثاني تنكير مجرورها

والثالث كونه فاعلا أو مفعولا به أو مبتدأ.(٩٠)

– وجيء بقولهم جملةً اسميةً مؤَكّدةً بـ"إنَّ" وخبرها اسم الفاعل للدلالة على استمرار كُفرِهم كما قال أبوحيان الأندلسي في تفسير سورة الكافرون نقلا عن الأخفش رحمه الله:

(المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون السنة ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد). (٩١)

وقال ابن عطية: (فلما كان قوله: لا أعبد محتملا أن يراد به الآن، ويبقى المستأنَف منتظَرًا ما يكون فيه، جاء البيان بقوله: ولا أنا عابد ما عبدتم أبدًا وما حَيِيتُ). (٩٢)

ولذلك يمكن أن يُقال : إنَّ مفهوم قولهم: (إنا بما أرسلتم به كافرون):أننا لن نؤمن به أبدا. والله أعلم

وقال ابن عاشور: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)

اعتراض للانتقال إلى تسلية النبيء صلى الله عليه وسلم مما مُنِيَ به من المشركين من أهل مكة وبخاصة ما قابله به سادتهم وكبراؤهم.... ولذلك قال في الآية في الزخرف (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة)(٩٣)، أي وكذلك التكذيب الذي كذَّبك أهل هذه القرية. والتعريض بقومه الذين عادوه بتذكيرهم عاقبة أمثالهم من أهل القرى التي كذَّب أهلُها برُسلِهم وأغراهم بذلك زعماؤهم). (٩٤)

وسِرُّ بناء صيغة "مترفوها" على المفعولية:

قال ابن عاشور: وفي بنائه للمفعول تعريض بالتذكير بنعمة الله عليهم لعلَّهم يشكرونها ويُقلِعون عن الإشراك به، وبعضُ أهل اللغة يقول تقديره: أترَفَتهم النعمةُ، أي أَبطَرَتهم).(٩٥)

وقوله تعالى: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).(٩٦) قَفَّوا على صريح كفرهم بالقرآن وغيره من الشرائع بكلام كَنَوا به عن إبطال حقية الإسلام بدليل سفسطائي فجعلوا كثرة أموالهم وأولادهم حُجّة على أنهم أهل حظٍّ عند الله تعالى.(٩٧)

فرَدَّ الله سبحانه وتعالى عليهم زعمَهم الباطل قائلا: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ – وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى...)(٩٨)

قال صاحب اللباب أبو حفص الدمشقي رحمه الله تعالى: (إن الله تعالى بيَّنَ خطأَهم بقوله: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ) يعني أنّ الرزق في الدنيا لا يدُلُّ سَعَتُه وضيقُه على حال المحِقِّ والمبطِل فكم من موسَر شقيٌّ ومُعْسَر تَقِيٌّ فقوله: (وَيَقْدِرُ) أي يُضيِّق بدليل مقابلته (يَبْسُطُ) وهذا هو الطباق البَدِيعِيّ). (٩٩)

وقال: ثم بين فساد استدلالهم بقوله: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) يعني إنَّ قولكم :نحن أكثر أموالا وأولادا فنحن أحسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فإنَّ المال لايُقرِّب إلى الله وإنما المفيدُ العملُ الصالح بعد الإيمان وذلك أن المال والولد يشغل عن الله فيُبعِد عنه فكيف يُقرِّب منه). (١٠٠)

ومن الآيات الواردة في ذم المترفين قوله تعالى:

٧-وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ. (١٠١)

هذه الآية الكريمة في أسلوبها ومعناها نحو الآية التي قد مرَّ البحث عليها آنفا آية رقم ٣٤ من سورة سبأ.

أمَّابلاغة السياق: ففي أربع آيات قبل هذه الآية الكريمة أولًا بين القرآن الحكيم عقيدة مشركي مكة الباطلة من جَعلِ الملائكة إناثا و بناتِ الله -سبحانه وتعالى عما يشركون- وفنَّد عقيدتهم الباطلة بكونها قائمة على جهلٍ تامٍّ، بلا سند ولا دليل، قال تعالى: (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)(١٠٢)

قال إبراهيم بن عمر البقاعي: قال تعالى تهكُّماً بهم وتوبيخاً لهم وإنكاراً عليهم ,إظهاراً لفساد عقولهم بأن دعاويهم مجردة عن الأدلة: (أَشَهِدوا...). (١٠٣)

وقال: ولما كان الجواب قطعاً: لا.، قال مُهَدِّداً لهم مؤَكِّداً لتهديدهم بالسين لِظَنِّهم أن لا بعثَ ولا حسابَ ولا حشرَ ولا نشرَ فقال: (سَتُكتَب) بكتابةِ مَن وكَّلناهم بهم من الحَفَظَة الذين لا يعصوننا). (١٠٤)

وذكر القرآن إدِّعاءهم الباطل الآخر من كون إشراكهم بالله برضاه، فقال ردا عليهم هذا الادعاء الباطل بأبلغ أسلوب، قال: (مَا لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)(١٠٥)

أولًا: نَفَى عنهم العلم نفيًا باتًّا حيث جعل العلم (المنفي عنهم) نكرة تحت النفي مؤكِّدًا تنكيرَه بـ"مِن" الزائدة، ثم استخدم أسلوب القصر بالنفى والاستثناء قائلا: (إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُوْنَ).

قال ابن سيده: (خَرَص يخرُص خَرْصا، وتخرَّصَ: كَذَبَ. وَرجلٌ خَرَّاصٌ: كَذَّابٌ، وَفِي التَّنْزِيل: (قُتِلَ الْخَرّاصُوْنَ).(١٠٦)

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: (الخَرْصُ: الكذب، والخرّاصون في قوله جل وعز: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ): الكذَّابون، ويَخْرُصُون: يَكذِبون.)(١٠٧)

ثم زاد القرآن الحكيم في بيان جهلِهم وبطلان دعواهم قائلا: (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُوْنَ)(١٠٨)

قال محي الدين الدرويش: "أم" حرف عطف معادل للاستفهام في قوله أشهدوا خلقهم فهي متصلة وقال بعضهم "أم" منقطعة بمعنى همزة الاستفهام الإنكاري كأنه بعد أن نفى حجتهم العقلية أضرب عن الكلام إلى نفي حجتهم النقلية ورَجَّحَ الشهاب الخفاجي هذا الوجه لبُعده عن قوله: (أَشَهِدُوْا).(١٠٩)

ثم قال تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)(١١٠)

قال القاضي ثناء الله الباني بَتِّي رحمه الله: يعنى لا حجة لهم عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة وسموا ذلك التقليد اهتداءً.(١١١)

وبعد بيان جهلهم أبلغ بيان قال تعالى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)(١١٢)

فنرى هنا أيضا أن القرآن الحكيم قد استخدم أسلوب القصر بالنفى والاستثناء ونَكَّرَ "قرية" و "نذير" وأدخل "مِن" الزائدة على "نذير" لتأكيد التعميم، أي: أن كل نبي من أنبياء الله تعالى عليهم الصلوات والتسليمات قد وَاجَهَ مِن مترَفي قومِه مثل ما واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فما أبلغ بلاغةَ النظمَ الحكيمَ أسلوبًا وسياقًا في ذم المترفين وفي الدلالة على ضرر المال على الإنسان – إذا بلَغَ درجة الإتراف وفرح الإنسانُ به ونسيَ اللهَ عز وجلَّ وحساب الآخرة–!

ومن الآيات الواردة في ذم المترفين قوله تعالى:

٨–وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ)(١١٣)

قد مرَّ البحث على آيات كثيرة وردت في ذم المترفين ولُوحظَ هناك أن القرآن الحكيم بأيِّما أساليب بليغة وفي سياقات عديدة ذمَّ المترفين ولكنَّ السياق والأسلوب اللذَين قد ورد بهما ذمُّهم في هذه الآيات المباركات لها شأن عجيب من البلاغة .(١١٤)

فإن القرآن الكريم – هنا –,أولًا ذَكَرَأحوال الصنف الأفضل من الناس, وبعد ذكرِ أحوالهم بالتفصيل عاد مرةً أخرى إلى ذكر أحوال الصنفين اللذَين قد ذُكِرا من قبل إجمالًا في قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ)(١١٥) فقال تعالى: (فَأَصْحَابُ الْيَمِيْنِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِيْنِ)(١١٦)

قال ابن عاشور:

(عَودٌ إلى نشر ما وقع لَفُّه في قوله: (وكنتم أزواجا ثلاثة)(١١٧)(١١٨)

فذُكِرت أحوالهم بالتفصيل، وبعد ذلك جاء ذكر أصحاب المشأمة مفصَّلًا وهنا عُبِّر عنهم ب(أَصْحَابِ الشِّمَالِ) قال تعالى: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ)(١١٩)

في هذه الآيات الثمانيةمن هذه السورة المباركة ذُكِرت أحوال المترفين يوم القيامة مع ذكر الأسباب التي من أجلها يُواجِهون تلك الأحوال والأهوال وسُمُّوا هنا "أصحاب الشمال" وجاء ذكرهم بعد ذكر أصحاب اليمين ويمكن أن يُسَمَّي هذا "مقابلة" في بعض أحوالهم بأحوال اليمين؛ فإنهم سُمُّوا أولًا "أصحاب الميمنة".(١٢٠)

وسُمِّيَ هؤلاء في مقابلتهم "أصحاب المشأمة"(١٢١) بِضِدِّ اسمهم، ثم مرة أخرى في – مقابلتهم– سُمُّوا "أصحاب الشمال" وكما جيئ لأصحاب اليمين أسلوب الاستفهام لتفخيم شأنهم وتبجيل ذكرهم , ففي مقابلتهم استُخدِم نفسُ الأسلوب ولكن لغرضٍ مُعاكِس للأول أي لتهويل أمرهم وتبشيع شأنهم ، وذُكِرت لأصحاب اليمين النعم من سدرٍ مخضودٍ وظلٍّ ممدودٍ وماءٍ مسكوبٍ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة، ولهؤلاء أصحاب الشمال في مقابلتهم ذُكِرت أنواعٌ من العذاب من سموم وحميم وظلٍّ من يحمومٍ لا بارد ولا كريم.

قال الزمخشري:

(فِيْ سَمُوْمٍ) في حَرِّ نارٍ ينفذ في المسام (وَحَمِيْمٍ) ماءٍ حارٍّ مُتَناهٍ في الحرارة (وَظِلٍّ مِنْ يَّحْمُوْمٍ) من دخان أسوَدَ بهيم (لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيْمٍ) نفيٌ لصفتَي الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال, سماه ظلًّا، ثم نفى عنه برد الظل ورَوحه ونفعه لمن يأوى إليه مِن أذى الحر ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه. والمعنى:أنه ظل حارٌّ ضارٌّ إلا أن للنفي في نحو هذا شأنًا ليس للإثبات. وفيه تهكُّم بأصحاب الشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة). (١٢٢)

وبعد ذكر عاقبتهم الوخيمة ذكر القرآن الحكيم أسبابها، فقال: (* إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ)(١٢٣)

قال عبدالرحمن بن ناصر السعدي:

ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) أي: قد أَلْهَتْهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعَّموا وتمتَّعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه). (١٢٤)

ولم يكتف الذكر الحكيم على ذكر كونهم مترفين بل كشف الستار عن كفرهم واستكبارِهم وعنادهم كاملا حيث قال: (وكانوا يصرون على الحنث العظيم* وكانوا يقولون....)(١٢٥)

قال الفخر الرازي رحمه الله:

ما الإصرار على الحنث العظيم؟ نقول: الشرك، كما قال تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ)(١٢٦) وفيها لطيفة وهي أنه أشار في الآيات الثلاث إلى الأصول الثلاثة فقوله تعالى: (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين)(١٢٧) من حيث الاستعمال يدل على ذمهم بإنكار الرسل، إذ المترَف متكبِّر بسبب الغِنَى فينكر الرسالة، والمترفون كانوا يقولون: (أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُه).(١٢٨)(١٢٩)

وقال الفخرالرازي أيضًّامبيِّنًاالأسرارالبلاغيَّة في اختيارالذكرالحكيم التعبير بقوله: (وَكَانُوْا يُصِرُّوْنَ) على التعبير ب" إنهم قبل ذلك أصروا":

وقوله تعالى: (وَكَانُوْا يُصِرُّوْنَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيْمِ)(١٣٠) فيه مبالَغاتٌ من وجوه:

أحدها:قوله تعالى: (كَانُوْا يُصِرُّوْنَ) وهو آكد من قول القائل: "إنهم قبل ذلك أصرُّوا" لأن اجتماع لفظَيْ الماضي والمستقبل يدل على الاستمرار، لأن قولنا: فلان كان يُحسِن إلى الناس، يفيد كون ذلك عادة له؛

ثانيها: لفظ الإصرار فإن الإصرار مداومة المعصية والغلول، ولا يقال في الخير:" أصرَّ"

ثالثها: (الْحِنْث) فإنه فوق الذنب فإن الحنث لا يكاد في اللغة يقع على الصغيرة والذنبُ يقع عليها).(١٣١)

فما أبلغ أسلوبَ هذه الآيات المباركات وما أبلغ سياقها في الدلالة على ذمِّ المترفين وتقبيحِهم بذكر كفرهم وعنادهم للحق وتكذيبهم للرسل وإنكارهم البعثَ والنشوَر، وما أبلغ أسلوب هذه الآيات الكريمة في الدلالة بذلك على ضرر الترف الذي قد يصيب المتموِّلين الأغنياءَ الأثرياءَ المترفين إذا بَطَروا به واستكبروا حتى أصبحوا طُغاةً عُتاةً عُصاةً لِربِّهم الذي أنعم عليهم بِبَسط الرزق لهم.

نعوذ بالله من حُبِّ المال وشروره في الدنيا والآخرة.

فالنتائج التي توَصَّل إليها الباحث خلال هذاالبحث :-

١- أن مسؤلية أهل الخير النهي عن الفسادفي الأرض وهوالطريق للنجاة من عذاب الله .

٢-اتِّبَاع الترف و المترَفين ظلمٌ كبير وجريمة عظمى وسببٌ لعذاب الله في الدنيا والآخرة .

٣-إن المترَفين دائمًا يُحَقِّرون ويُهِينون أشرافَ المجتمعات من الأنبياء وأَتباعهم ويحاولون كلَّ محاولةٍ لتضليل الناس وإبعادِهم عمَّن يجب اتِّباعهم للفوز في الدارين .

٤-إن السبب الأساسي لتدمير المجتمعات هي جرائمُ المترَفين وفسوقُهم وظلمُهم على عبادالله .

٥-إن المترَفين يَغتَرُّون بترفهم ويَغُرُّون الناس بمكائدهم ويُضلُّونهم ويحملونهم على تكذيب أهل الحقّ.

٦-وهذادَأبُهم عبرَالتأريخِ كلِّه لايختصُّ بزمانٍ دون زمانٍ ولابمجتمعٍ دون غيره.

٧-إن المترَفين كما يُسبِّبون دمارالمجتمعات في الدنيا, كذلك تكون عاقبتُهم سيِّئةً ومصيرهم في الآخرة إلى النار.

٨-إن السبب الأكبرللفسادالمنتشر-اليوم- في العالم كُلِّه هوالتغلُّب السياسيُّ والاقتصاديُّ للمترَفين على النطاق العالمي وكذلك على النطاق القومي في مُعظَم بلاد العالم .

٩-يجب على المسلمين أن يتمسكوا بكتاب الله وسنَّة نبيه صلَّى الله عليه وسلَّم وأن يلتزموا في السياسة والاقتصاد العدلَ والاعتدالَ وأن يقتدوابأسوةالرسول صلَّى الله عليه وسلّم وخلفائِه الراشدين — رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

الهوامش

(١) الفوائد المشوِّق إلى علوم القرآن، ابن قيم الجوزية، مطبعة السعادة، بيروت، ص٩

(١) مفتاح العلوم (ص ١٦،١٥)

المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)

ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان. الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي , الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٩٨م

(٣) المرجع نفسه.

(٤) إعراب القرآن وبيانه (٥/٤٠٦) المؤلف :محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)

الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)

الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ دار الإرشاد، حمص، سوريا، ١٤١٥هـ،

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٦

(٦) سورة هود، الآية: ١١٦

(٧) الأنبياء، الآية: ١١-١٥

(٨) سورة المؤمنون، الآيات: ٣٣-٣٨

(٩) سورة السباء، الآيتان: ٣٤-٣٥

(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٢٣

(١١) سورة الواقعة، الآية: ٤١-٤٦

(١٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦

(١٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦

(١٤) الكشاف، ٦٥٤/٢ =الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل , المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد جار الله الزمخشري من علماء البلاغة المتوفي (٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت , الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ

(١٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل= تفسير البيضاوي، ٢٥١/٣ المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي , الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) أخرجه الإمام أحمدبن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده عن سويد بن هُبيرة، ١٧٣/٢٥

(١٨) تفسير البيضاوي ٢٥١/٣

(١٩) تلخيص المفتاح مع شرحه مختصر المعاني، ص٨٦

(٢٠) مختصر المعاني للتفتازاني ص١٤١

(٢١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٣ ,٣٤

(٢٢) سورةالمؤمنون ٣١

(٢٣) سورة غافر، الآية: ٦٠، تلخيص المفتاح، ص١١

(٢٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٩١١هـ) ٢/ ١٨٧ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)

المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

(٢٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن = تفسير الطبري ج١٩ ص٢٨ . المؤلف :(محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة , الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢٦) الجدول في إعراب القرآن، ١٧٧/١٨, المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت , الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ

(٢٧) تلخيص المفتاح، ص١١

(٢٨) سورة المؤمنون، الآية: ٣٤

(٢٩) تفسير أبي السعود، = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٣٤/٦، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بنمحمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت (بدون سن الطبع)

(٣٠) سورة هود، الآية: ١١٦

(٣١) سورة يس، الآية: ٣٠

(٣٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد بن محمد بن المهدي، أبي العباس الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) القاهرة ١٤١٩هـ، ٥٦٦/٢

(٣٣) تفسير البيضاوي ١٥٣/٣

(٣٤) محمد بن عاشور رئيس المفتين وشيخ جامع الزيتونة بتونس (المتوفي ١٩٧٣م) الأعلام ١٧٤/٦

(٣٥) سورة هود، الآية: ١٠٢

(٣٦) سورة هود، الآية: ١١٢

(٣٧) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (١٨٣/١٢) المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤ هـ

(٣٨) المرجع نفسه.

(٣٩) المرجع نفسه.

(٤٠) الكشاف، ١٣٣/٣

(٤١) سورة هود، الآية: ١١٦

(٤٢) سورة الأنبياء، الآيات: ١١-١٥
(٤٣) الكشاف، ١٠٥/٣
(٤٤) المرجع نفسه.
(٤٥) جلال الدين المحلِّي، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم صاحب تفسير "الجلالين" من أول البقرة إلى أول الكهف وأكملَه الإمام السيوطي، توفي ٨٦٤هـ، الأعلام: ٣٢٣/٥
(٤٦) تفسير الجلالين، ١٠٥
(٤٧) سورة الأنبياء، الآية: ١٢
(٤٨) الكشاف، ١٠٥/٣
(٤٩) سورة الأنبياء، الآية: ١٣
(٥٠) الكشاف، ١٠٦/٣
(٥١) المرجع نفسه.
(٥٢) مجازالقرآن لأبي عبيدة معمربن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) بتحقيق: محمد فواد سزگين , الناشر: مكتبة الخانجى — القاهرة , الطبعة: ١٣٨١ هـ
(٥٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،١٨/٩, المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ المحقق: علي عبد الباري عطية , الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
(٥٤) الإيضاح في علوم البلاغة محمد بن عبدالرحمن القزويني (٧٣٩هـ) دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٩٨م، ٢٩٠/١

وانظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني ص ٣١٩

المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر

الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة , الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

(٥٥) سورة القصص، الآية: ٥٨
(٥٦) سورة المؤمنون، الآيات: ٦٤-٦٧
(٥٧) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ٢٧٥/٣٣

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت , الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

(٥٨) مجاز القرآن، ٦٠/٣

(٥٩) بيان المعاني، ٣٥٦/٤ , بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول] المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) , الناشر: مطبعة الترقي — دمشق , الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥

(٦٠) أنوار التنزيل=تفسير البيضاوي ٩١/٤

(٦١) التحرير والتنوير، ٨٢/١٨

(٦٢) المرجع نفسه.

(٦٣) المرجع نفسه.

(٦٤) سورة المؤمنون، الآية: ٦٦

(٦٥) سورة المؤمنون من الآية:٦٦

(٦٦) روح المعاني، ١٨٧/٤

(٦٧) سورة سبا، الآيتان: ٣٤-٣٥

(٦٨) سورة سبا، الآيتان: ٣١-٣٢

(٦٩) التحرير والتنوير، ٢٠٣/٢٢

(٧٠) سورة سبا، الآية: ٣١

(٧١) سورة هود، الآية: ٧٤

(٧٢) سورة سبا، الآية: ٣١

(٧٣) التحرير والتنوير، ٢٠٤/٢٢

(٧٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦

(٧٥) صحيح البخاري ٩/١ (باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه . المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي رحمه الله تعالى المتوفى ٢٥٦هـ
المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر , الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٧٦) سورة القصص، الآية: ٤

(٧٧) سبأ- ٣١

(٧٨) سبأ -٣٢

(٧٩) سبأ -٣٣

(٨٠) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (جـ ٤ صـ ٤٩٧) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) , المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان , الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة , الطبعة: ١٤١٩هـ

(٨١) المرجع نفسه

(٨٢) هكذا وجد الباحث هذه العبارة في هذا الكتاب وإلا فالمثل المشهور في كتب البلاغة :"نهاره صائم وليله قائم" والتفسير بالمصدر أبلغ من التفسير باسم الفاعل. انظر في الإيضاح للقزويني جـ ١ صـ ١٠٢ وفي أمالى القالي جـ ١ صـ ٩٠ وبغية الإيضاح فصل الحقيقة والمجاز العقليين جـ ١ صـ ٦٦

(٨٣) التسهيل لعلوم التنزيل جـ ٢ صـ ١٦٨، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

(٨٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ

(٨٥) سبأ - ٣٣

(٨٦) سبأ - ٣١

(٨٧) الكشاف جـ ٣ صـ ٥٨٥

٨٨) المرجع نفسه

(٨٩) سبأ - ٣٤، ٣٥

(٩٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب جـ ١صـ ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، (المتوفى: ٧٦١هـ)،المحقق: محمد محي الدين عبدالحميد، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر الشريف.

(٩١) البحر المحيط في التفسير، جـ ١٠ صـ ٥٥٩

(٩٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز=تفسير ابن عطية جـ ٥ صـ ٥٣١، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

(٩٣) الزخرف- ٢٣

(٩٤) التحرير والتنوير جـ ١١ صـ ٤٠٤

(٩٥) المرجع نفسه

(٩٦) سبأ – ٣٥

(٩٧) التحرير والتنوير جـ ١١ صـ ٤٠٥

(٩٨) سبأ– ٣٦–٣٧

(٩٩) اللباب في علوم الكتاب جـ ١٦ صـ ٧٢، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠

(١٠٠) اللباب جـ ١٦ صـ ٧٢، ٧٣

(١٠١) الزخرف – ٢٣

(١٠٢) الزخرف– ١٩

(١٠٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٧ صـ ٤٠٤، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢

(١٠٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٧ صـ ٤٠٥

(١٠٥) الزخرف– ٢٠

(١٠٦) المحكم والمحيط الأعظم جـ ٥ صـ ٨٤، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المتوفي:(٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد الهنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١

(١٠٧) كتاب العين جـ ٤ صـ ١٨٣، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى:١٧٥هـ)، المحقق:

د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨

(١٠٨) الزخرف– ٢١

(١٠٩) إعراب القرآن وبيانه جـ ٩ صـ ٧٧، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص –سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ

(١١٠) الزخرف – ٢٢

(١١١) التفسير المظهري، جـ ٨ صـ ٧٧، المؤلف: القاضي ثناء الله الباني بتي، المحقق: غلام النبي التونسوي، الناشر: المكتبة الرشدية – باكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ

(١١٢) الزخرف – ٢٤

(١١٣) الواقعة - ٤١ - ٤٦

(١١٤) التحرير والتنوير جـ ٢٧ صـ ٢٨٨

(١١٥) الواقعة -٨،٩

(١١٦) الواقعة - ٢٧

(١١٧) الواقعة -٧

(١١٨) التحرير والتنوير جـ ٢٧ صـ ٢٩٨

(١١٩) الواقعة - ٤١- ٤٨

(١٢٠) الواقعة - ٨

(١٢١) الواقعة-٩

(١٢٢) الكشاف جـ ٤ صـ ٤٦٣

(١٢٣) الواقعة- ٤٥- ٤٨

(١٢٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن جـ ١ صـ ٨٣٤

(١٢٥) الواقعة ٤٦- ٤٨

(١٢٦) لقمان- ١٣

(١٢٧) الواقعة - ٤٥

(١٢٨) القمر- ٣٤

(١٢٩) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، جـ ١٥ صـ ١٦١

(١٣٠) الواقعة- ٤٦

(١٣١) المرجع نفسه

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆